نقد لمقال

معنى التكامل الاجتماعى عند برجسون[1]

(تلقت إدارة المجلة هذا النقد من الأستاذ محمد جعفر . ولما كانت المجلة حريصة كل الحرص على إتاحة الفرصة للمناقشات العلمية والفلسفية التى تتسم بطابع العمق والإخلاص فى البحث عن الحقيقة ، فإنها لا يسعها إلا أن ترحب بهذا النقد الذى يعد أنموذجاً للرد والمناقشة تحدوهما الرغبة فى التحقيق والبناء .)

* * *

حضرة الأستاذ . . . . .

قرأت مقالك فى « معنى التكامل الاجتماعى عند برجسون » عدة مرات ، وأعجبت به إعجاباً شديداً ، . . . ولكن لى بعض الملاحظات عليه لا أظن أنها فاتتك ولكن أعتقد أن صفة المقال كان لها دخل فى عبورك ما كان يجب ألا تعبره بسرعة .

أولا : الإطار الحضارى الذى رسمت خطوطه العامة لتبين الصورة العامة للحياة فى عصر برجسون والعوامل المصطرعة فى هذه الفترة والتى كان لها أثر فى توجيه الفيلسوف وجهته . . . كان ينبغى ألا تقتصر فيها على ذكر العوامل السياسية والاجتماعية ، وإنما يجب على قدر الإمكان أن ترسمها متكاملة فى نواحيها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والأدبية ، وهذه الأخيرة قد تساعد على دفع من قد يعترض عليك بأنك لم تهتم إلا بالعوامل « المادية » وجعلها صاحبة التأثير الأول والأخير على الرجل ، وأنت قد أشرت إشارة عابرة إلى جيته فى قصة فاوست وكان بودى لو تزيد فتكمل الإطار فتتضح الصورة وتبرز .

ثانياً : أشرت فى بداية المقال إلى أثر برجسون فى الوجودية والوجوديين وبنيت

---

(١) « معنى التكامل الاجتماعى عند برجسون » بقلم مصطفى اسماعيل سويف ، مجلة علم النفس عدد ٢ مجلد ٥ .

أهمية الرجل التاريخية على علاقته الفكرية بهذه المدرسة لما لها من الخطورة اليوم . . . ولم تشر بعد ذلك إلى طبيعة هذه العلاقة لا فى عرضك لبرجسون كفيلسوف اجتماعى ولا فى نقدك له ، اللهم إلا فيما يتعلق بمعنى الحرية ، وهذا الجزء يبدو فى مقالك أنه ليس بذى تأثير كبير فى فلسفة برجسون لأنه لا دور « اجتماعى عملى » للحرية ، ومع ذلك فقد كان يلزمك أن تبين موقف الوجوديين من هذه المشكلة ، وكيف أنه نتيجة منطقية لمقدمات برجسون .

ثالثاً : يبدو من المقال أنك تحبذ النظرة العلمية للمجتمع والحضارة ، تلك النظرة القائمة على تحليل الواقع التاريخى ، وقد نقدت برجسون بمقتضى هذا المبدأ ، ولكنك لم تعرض بصورة واضحة الناحية الأخرى الإيجابية خصوصاً فيما يتعلق بعملية التفاعل الديالكتى والتى عليها تتوقف حركة التاريخ وبها تتحدد الحركة فى المجال وتتجه نحو المركب وفيها تتلاشى الثنائية أيا كان نوعها وعلى أساسها انعدمت الفروق بين الكائنات الحية وغير الحية كموضوعات للدراسة ، وهذا ما كان ينقص برجسون ، بل لقد وضح فى أكثر من موضع من مقالك أن الرجل لم يكن ينقصه غير عملية التفاعل هذه لتنقل فلسفته إلى عالم آخر غير العالم الآلى ، مثال ذلك ص ٢١٦ عندما يتحدث عن علاقة خلايا الجسم بالبناء ككل ويمثلها بالأفراد فى المجتمع إنما يجعل منهم أفراداً يتعاونون بالضرورة ولا يتفاعلون أبداً .

كذلك فشله فى إيجاد علاقة واضحة بين الأنا الفردية والأنا الاجتماعية ، وقد بينت أنت هذا بوضوح ، كان يمكنك أن تقول والصحيح هو كذا ، فتعطى صورة إيجابية للمشكلة .

كذلك فى فكرة البطل وتبلور الوثبة الحية فيه ، فهو هروب من المشكلة بوضعها فى صورة غامضة لأن من الممكن القول بأن ما يحدث فى ذهن البطل ليس إلا عملية تفاعل ديالكتى نتيجة لانعكاس التفاعل الاجتماعى فى ذهنه وهو ليس أكثر من مبشر بما يحدث ومتنبئ بما سيحدث لا لأن الوثبة الحية أرادت أن تقوم بعملية التطور بطريقة « سرية » داخل نفس البطل .

والواقع أن إيمان الرجل بفكرة الطبائع هو الذى حرمه من الوصول إلى الحركة الديالكتية وأغرقه فى ثنائياته .

رابعاً : فى مقال سابق لك فى مجلة « الفصول » تكلمت عن الإحساس

التاريخى ، وبينت كيف أن ميزة الإنسان الأولى أن له تاريخاً وأنه يعى هذا التاريخ وأن منشأ الحضارة هو هذا الوعى التاريخى ولولا أنه يعيش على عمود طويل من التاريخ لما اكتسب أبداً هذه الحضارات ، وأنت قد اكتفيت بالتعبيرات الحضارية ص ٢٢٩ ولم تذكر شيئاً عن التاريخ مع أن الكثيرين قد لا يستطيعون الربط بينهما ، ويخيل إلى أن الوعى بالتاريخ ووظيفته الاجتماعية من أهم الأسس التى يجب التنبيه إليها .

وأخيراً لا يسعنى إلا أن أهنئك على هذا المقال الخطير ، فهو فتح جديد فى التأريخ الفلسفى ، وأرجو مخلصاً أن تتبعه غيره .

محمد جعفر